



التنمية الاجتماعية الاقتصادية في إمارة إلورن منذ القرن العشرين



تحرير وتحقيق

أ.د. زكريا إدريس - أؤؤؤ-حسين

أ.د. أحمد شيخ عبد السلام

أ.د. بدماص أؤؤؤؤؤؤؤ يوسف

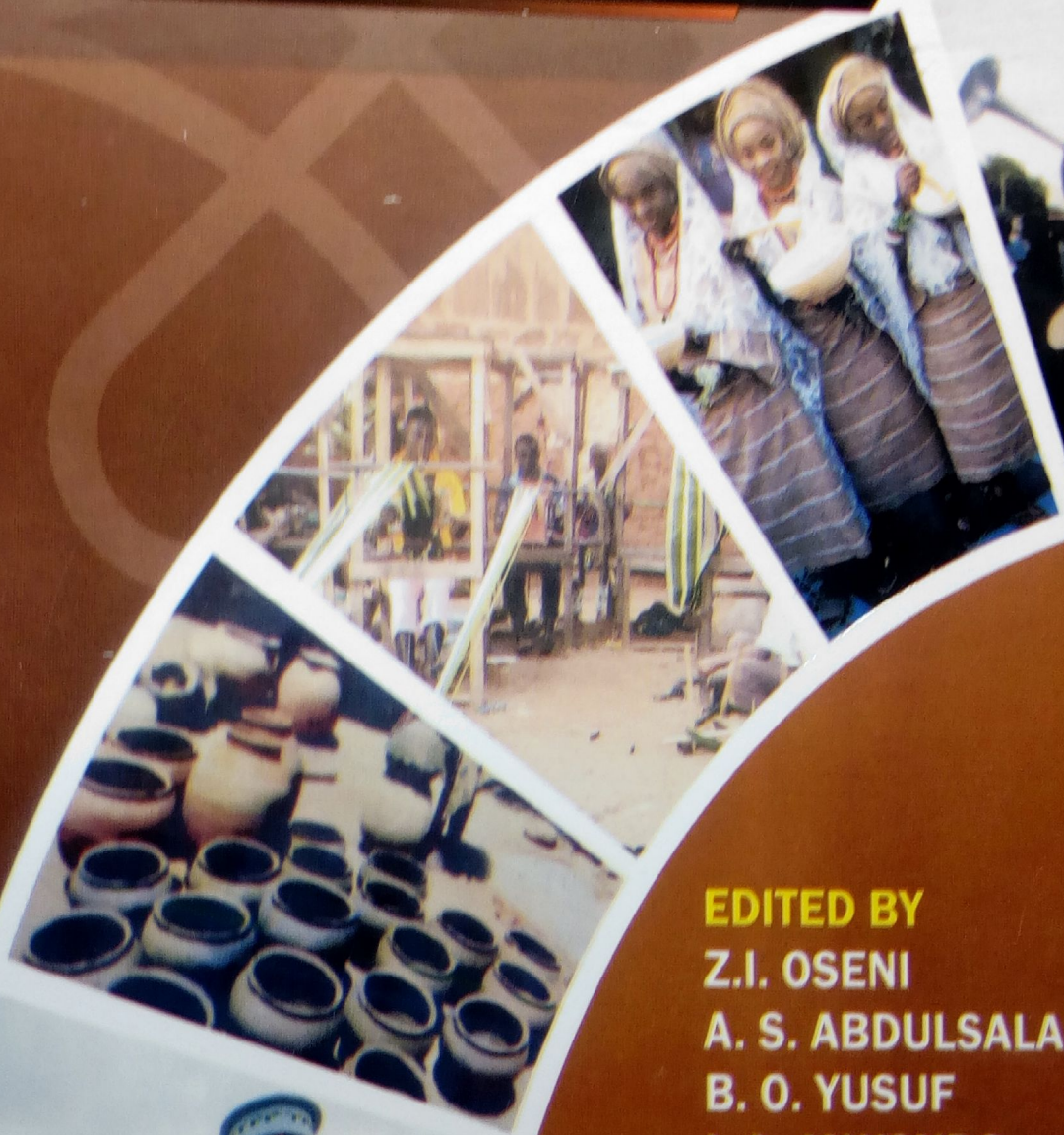
د. إبراهيم عبد الغني جؤؤؤؤؤؤؤ

UNILORIN PRESS



THE SOCIO-ECONOMIC DEVELOPMENT OF ILORIN EMIRATE

SINCE THE 20TH CENTURY



EDITED BY
Z.I. OSENI
A. S. ABDULSALAM
B. O. YUSUF
I. A. JAWONDO

دور الشيخ آدم عبد الله الإلوريّ في تحسين معيشة علماء المدارس العربيّة في إمارة إلورن، نيجيريا

إعداد

عبد الرشيد محمود مقدّم

توطئة

يعدّ الشيخ آدم عبد الله الإلوريّ في صدارة عباقرة العلماء النيجيريّين الذين شهدت على أيديهم شئون التعليم العربي والتربية الإسلامية النقطة التحوّليّة في الديار النيجيرية؛ حيث كان الاحتراف بالتعليم العربي - من ذي قبل - لا يدرّ للعلماء أموالاً طائلة، بل كان يصعب عليهم منها تحصيل ما يرمقون به المعيشة فضلاً عما يكفيهم مؤنة الحياة الرغيدة، فاضطّروا بموجبه أن يزاولوا مهناً أخرى يتكسّبون بها جانب التعليم والتربية؛ فنجد منهم من كان يحترف بالكتابة والوراقة ومن يحترف بالحياكة وتطريز الملابس أو غيرها من الحرف والصناعات، فلم يلبث أن تبدّدت هذه الظروف وتغيّرت هذه الأحوال بعد ما تعرّف التعليم العربيّ على نقطة تحوّليّة ظهر معظمها على يد الشيخ آدم عبد الله الإلوريّ عبر قناة علميّة له، تتمثّل في مركز التعليم العربيّ الإسلاميّ بأغيني؛ وذلك

من الأنظمة التي تفرّد بها قبل أن يترسّم على خطاه غيره من المدارس العربية في نيجيريا - وفي مدينة إلورن على الوجه الخاص-؛ وخدمت هذه الأنظمة بعض علماء المدارس العربية في تحسين ظروفهم المعيشية وتغيير أحوالهم حسبما ستكشفه نقاط تالية:-

- حالة الاحتراف بالتعليم العربي قبل العصر الراهن
- النقطة التحوّلية في التعليم العربي.
- دور الشيخ آدم عبد الله الإلوري في تحوّل الاحتراف بالتعليم العربي.
- الخاتمة.
- الاقتراحات.

١- حالة الاحتراف بالتعليم العربي قبل العصر الراهن

توغّلت اللغة العربية في نيجيريا منذ زمن بعيد كان يقدر بقرنين قبل أن تعرف اللغة اللاتينية طريق وصولها إليها؛ حيث كان التجار العرب يأتون إليها لتسويق سلعهم وبضائعهم فيها؛ ومن هؤلاء التجار العرب عرف أهلها الإسلام مقرونا باللغة العربية؛ إذ إن الإسلام لا يدخل في بلد إلا ومعه وزيره اللغة العربية التي أنزل الله بها القرآن الكريم، فلا مناص للتدين بهذا الدين إلا بمعرفته؛ فعلى هذا الأساس أصبح لزاما على مسلمي نيجيريا -شأن غيرهم من المسلمين- تعلّم هذه

اللغة ومعرفتها بالدرجة الأولى ليفهموا دينهم، ويكون في الدرجة الثانية تعلّمهم إيتاها للإنتاج الأدبي (الإلوري: ١٩٩٢م).

ومن هنا يتمثل التعليم العربي في المثابة الأولى للتعليم والتربية في نيجيريا؛ حيث أوجدت الكتاتيب في دهايز العلماء وسواريهم يعلّمون فيها الأطفال الصغار القرآن الكريم قراءة وأداء وكانوا يرتادونها صباحا ومساء، فبعد ما أنخوا تلقّي القرآن في الكتاتيب يبدؤون تعلّم كتب مبادئ الإسلام وكتب المتون اللغويّة، كما كانوا يتدربون على كتابة الحروف العربية -بالخط المغربي- على الألواح الخشبية- مبدئيًا- ثم على الأوراق أو تكاغدا بعد ما استوى خطّهم وثبتت لهم القدرة على الكتابة (مقدم، ٢٠١٣م). وليس للمعلّمين تجاه هذه الأعمال التعليمية أيّ أجر ولا مقابل شهريّ يزاولون به معيشتهم بل كانوا يعانون الظروف القاسية في سبيل الحياة وتحصيل الأرزاق، فاضطّروا إلى طلب الحلول لهذه المشكلة بالاعتماد على حرفهم وصناعاتهم المختلفة كوسيلة لتسهيل المعيشة؛ فمنهم من كان كاتباً وورّاقاً ونسّاجاً وحيّاكاً وبنّاء ونجّاراً وتاجراً وغير ذلك من ضروب الصناعة وأصناف الحرف؛ ولم تكن هذه المهن والصناعات تصرف همّتهم عن التعليم، ولا تعوق دون مباشرتهم تربية أولاد المسلمين، وإنما الذي كانوا يُعطونه-من دون إلزام- لم يجاوز خمسة قروش (أو أقلّ من ذلك) في كل أيّام الأربعاء عن كل تلميذ وما كان يأتي إليهم من الأطعمة أو ان حذاقة تلاميذهم كما وصف ذلك الإلوريّ قوله: ...وإذا أتقن التلميذ دروسه أقام له والده حفلة متواضعة لشركائه في دار المعلم أو

في المكتب وتسمى الحفلة:- بالإصرافة أو الحداقة أو الوليمة، وربما كان ذلك إذا أتن الصبي جزء عم أو تبارك أو الرحمن أو يس أو الكهف أو براءة أو البقرة. فيذبح للصبي دجاجة أو كبشا أو بقرة على حسب طاقة الوالد وإمكاناته وبهيء معها أنواع الأطعمة المعتادة للتلاميذ ثم يقدم هدايا خاصة للمعلم ترسما على خطا سيدنا عمر (رضي الله تعالى عنه) الذي نحر جزورا شكرا لله على حفظه لسورة البقرة. (الإلوري، ١٩٨١م)

وزاد الطين بلة واشتدت ظروف معيشة هؤلاء العلماء عند ما قام الاستعمار الغربي في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي باحتيالاته المتنوعة ومكائده الشريرة على القضاء على العربية والمحاولة على طمس معالمها وإجراء زيل النسيان على آثارها، فأخذ المستعمرون بإغراء أبناء المسلمين على تعلم الإنكليزية فخاب رجاؤهم في شمال نيجيريا وسقط في أحبولة الجنوب حيث وجدوا مجالا واسعا لا حجر فيه فمدوا فيه رواقهم وارفة الظلال، رغم أنهم وجدوا في أكثر المدن الجنوبية مدارس قرآنية في دهاليز المساجد وبيوت العلماء لكنها كانت حيلولة لهم كما في الشمال؛ حيث لم يجدوا إقبالا عظيما من أبناء المسلمين في إغرائهم على تعلم الانكليزية، فوقعوا في الأوساط الوثنية وفي القرى الريفية، فاقتنصوا عددا من أبناء الفقراء والفلاحين بتأثير دعاياتهم المغرضة المعززة بالثروات، فنجحوا على قاعدة الأثر القائل: "إذا ذهب الفقر إلى بلد قال الكفر خذني معك" فضاعت من

هؤلاء عقيدتهم الإسلامية، واستبدلوها بالنصرانية إلا قليلا منهم في الشمال والجنوب (الإلوري، ١٩٩٠م).

فظلّ الذين اغتروا بهذه المكيدة وتعلّموا الانجليزية مرفوعة رؤوسهم، يعيشون الحياة الرغيدة بفضل ما مهّد لهم المستعمرون والمبشرون من الفرص السانحة بالعمل في معاقيلهم النصرانية وفي جوانبهم العلماء المسلمون كانوا يعانون صعوبة الحياة وضيق المعاش إلا أقلّ عدد منهم، مثل بَلْغُورِي وإِكُوْغُورُو اللذين أسندت إليهما الحكومة القضاء (الإلوري، ١٩٨٢م) في مدينة إلورن لفضل إتقانهما اللغة

الانكليزية، وهذه الحالة والظروف هي التي جاشت لها عاطفة الإلوريفيقول :-

يَا رَبِّ قَدْ ضِيقْتُ ذَرْعًا بِالْهُمُومِ وَقَدْ *** رَجَوْتُ فَضْلَكَ أَصْلًا ثُمَّ لَمْ أَزَلْ

أَرْجُوكَ وَالْحَالُ لَا يَخْفَى عَلَيْكَ عَلَى *** مَا كَانَ لِي مِنْ حَيَاةِ الْبُؤْسِ وَالْعَطَلِ

لَقَدْ تَعَلَّمْتُ عِلْمَ الدِّينِ فِي لُغَةٍ *** أَنْزَلْتَ فِيهَا كِتَابَ الذِّكْرِ وَالْمَثَلِ

صَرَفْتُ فِيهَا حَيَاتِي مِنْ بَدَايَتِهَا *** إِلَى أَوَاسِطِهَا وَالنَّفْسُ فِي شَغَلٍ

لَكِنْ عَلَى غَيْرِ جَدْوَى فِي الْحَيَاةِ وَقَدْ *** ظَلْتُ مَعِيشَتُنَا ضَنْكًا عَلَى الْفَشَلِ

كَدَرْتَ عَيْشَ بَنِي الْإِسْلَامِ يَا صَمَد *** كَأَنَّهُمْ فِي ضَلَالِ الدِّينِ وَالْخُطَلِ

وَهَاكَ قَوْمَ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ لَقَدْ *** نَالُوا حَظُوظَ حَيَاةٍ قِسْمَةَ الْأَزَلِ

أَعْطَيْتَهُمْ كُلَّ خَيْرٍ فِي أَهْوَاءٍ وَفِي *** بَرٍّ وَبَحْرٍ وَفِي سَهْلٍ وَفِي جَبَلٍ

فَمَا لَنَا غَيْرُ قُرْآنٍ وَحِكْمَتِهِ *** وَنَقْلِ كُلِّ حَدِيثِ الْخَاتِمِ الرُّسُلِ

هَلْ أَجْبِرُوكَ عَلَى تَوْفِيرِ حَظِّهِمْ؟ *** وَمَنْعِنَا حَظَّنَا حَتَّى مِنَ الْعَمَلِ

يا خَالِقَ الْخَلْقِ يَا رَحْمَانُ فَاطِبَةً *** يا مَنْ يَرَى مَا خَفَى يَا عَالِمَ الْجُمَلِ
 إِنِّي قَصَدْتُكَ بِالنَّجْوَى الَّتِي كُتِبَتْ *** على الرجاء الذي قد شيب بالوجل
 إِنْ كُنْتُ مَنْ قَالَ أَدْعُوا أَسْتَجِبْ لَكُمْ *** فَارْحَمْ عُيْبَكَ ذَا النَّجْوَى وَذَا الزَّلَلِ
 أَصْلِحْ لَهُ الْحَالَ وَارْفَعْ مُسْتَوَاهُ إِلَى *** أَعْلَى مَكَانَاتٍ مَنْ أَعْلَيْتَ فِي رُحْلِ
 يَسِّرْ لَهُ الْعَيْشَ وَالْأَرْزَاقَ مُسْرِعَةً *** يا خَالِقَ الْخَلْقِ أَدْرِكْ صَاحِبَ الْأَمَلِ

(الإلوري، ١٩٩٠م)

أدرك العلماء أنفسهم على هذا النمط من الحياة في التقلب بين البؤس والشدة والتلف والفقر فحاولوا لأنفسهم مخرجاً بالتعرف على بعض الحلول التي يتسنى لهم من خلالها الحياة السعيدة وتحصيل الأرزاق الزهيدة من خلال التبركات والتبرعات في جلسات الموالد والمآتم وعقد النكاح وفتح المنازل وحضور الولائم القرآنية والتطبيب (جَلَب) وما إلى ذلك مما يستطاب به الحياة، إذ لم يجدوا من يأخذ بأيديهم ويعير لهم - ولأعمالهم التدريسية - الاهتمام للرفع من شأنهم.

٢- النقطة التحويلية في التعليم العربي

يستصحب العلماء حالة التعليم العربي بظروفه القاسية على حساب أنه إن لم يكن لهم أيّ مقابل يتقاضونه من ممارستهم إيّاه فقد ثبت لهم الأجر من الله تعالى؛ ولعلّ لهذه الحقيقة - التي لا يشوبها أدنى شك - لا يأل جهدهم وما ضعفت همّتهم، بل كان يتزايد حيناً لآخر الكتابيب في دهاليز العلماء بمدينة

إلورن حتى لا يعدّ ما في حارة واحدة منها تستضيفها الكتاتيب القديمة أمثال:
كتاب الشيخ أبي بكر بُويّ (١٨٥٨م)، وكتاب الشيخ محمد بن أحمد البلغوري
الفلاقي (١٩١٣م)، وكتاب الشيخ أحمد التاكتي (١٩٠٠م)، وكتاب الشيخ
موسى أثيري، وكتاب الشيخ عبد الله رُوفُوعُو نَكَرَاثُو وغيرها من الكتاتيب.

وبعدّ أوّل ما شهدته التعليم العربي والمدارس العربية بمدينة (إلورن) التحوّل الحاصل
من الشيخ محمد جمعة اللبيب (تاج الأدب ١٩٢٢م) الذي اتّخذ أسلوباً جديداً
في التعليم ومنهجاً حديثاً في التربية وذلك في إجازته استعمال الكتب
المصوّرة. (الإلوري، ١٩٨٢م)

ثمّ جاء الشيخ آدم عبد الله الإلوري بفكرته التطويريّة وحركاته الإصلاحية لأسلوب
التعليم العربي وإدخال بعض المواد الحديثة على بعض الكتب التي كانت يتعلّمها
التلاميذ في دهاليز العلماء وسواريهم من القرآن والفقه وبعض كتب متون اللغة؛
مع إدخال بعض الأنظمة في المدارس العربية لتواكب أحوالها في العالم العربي في
إنجاز التلاميذ وتحديد مناهج التدريس، فقوّى نحو ذلك عزمه وركب ظهر
الاغتراب إلى مصر العربية ١٩٤٦م حيث عرض نفسه على شيوخ الأزهر
الشريف كما هو يفصّل الحديث في ذلك قائلاً: "...على أني لما بدأت في
العمل لم أبدأ فيه تعسّفا ولا تحبّطا بل عزمت على الاقتباس المباشر من معين
العلم ومنبع العرفان فخرجت من بلادتي إلى بلاد العربان وإلى قبلة العلم وكعبة

الطلاب مصر الإسلام والعربية ومهد الحضارة والمدنية، قصدتها للتحويل من المنهج التقليدي القديم في بلادنا إلى المنهج الحديث في الأزهر، ولما نزلت القاهرة مكثت فيها أربعة أشهر أتجول بين الأزهر وعلماء مصر والمنظمات الإسلامية بذلك الزمن كالإخوان المسلمين ومرشدهم الإمام حسن البنا. وأخيرا طلبت من الأزهر إجازة للتعليم في بلادي على منهج الأزهر فكان ما كانوا يسمونه امتحان الاستماع في علوم التفسير والحديث وأصول الفقه والتجويد والأخلاق والمنطق والبحث والمناظرة والتوحيد والنحو والصرف وعلوم البلاغة والعروض والقافية فأسفر الامتحان عن إجازة الاستماع. (الإلوري، ١٩٩١م)

فعاد سنة (١٩٤٧م) من السفر الذي زار فيه -بعد مصر العربية- بعض البلدان العربية مثل: الحجاز والسودان العربي بنفس متوقدة وفكرة متوهجة في كيفية القيام بهذا الإصلاح في شئون التعليم العربي والتربية الإسلامية وإنعاش الوعي الإسلامي وتحريكه من جديد في نفوس الأمة الإسلامية وتوحيد صفوف العلماء حسب قوله " لما رجعت من رحلتي الشرقية وكانت نفسي متوقدة وثابة إلى إيقاظ الوعي الإسلامي من آثار ما شعرت به من مصر والحجاز والسودان العربي وانطبع بذاكرتي وقامت نيتي ونهضت همّتي إلى توحيد صفوف العلماء علما مني أن إصلاح الأمة يتم بصلاح العلماء والأمراء وعلى هذه الدعوة نشرنا رسالتنا المسماة "الدين النصيحة ١٩٤٨م وأرسلنا بها إلى الأئمة والعلماء والأمراء والمنظمات الإسلامية في الشمال والجنوب ثم تبعنا أثر الرسالة بالزيارة لكل

عواصم هذه البلاد، ولكن الجهود كلّها ذهبت أدراج الرياح، استكبر الأمراء واستنكف العلماء من أن يخضعوا للإرشاد والتوجيه وقبول النصيحة من غيرهم أو من بعضهم أو ممن دونهم مثلي أللهم إلا قليل من العلماء والأمراء شجعوني بأقوالهم ثم توقفوا....". (الإلوري، ١٩٩١م)

ثم التقى الإلوري مع جماعة أنصار الدين التي أسست ١٨٩٠م وشبّانها ١٩٢٣م وهذه الجمعية كانت عاكفة على التعليم المدني العام ولهم مدارس تعدّ بالمئات التي أنجحت أبناء المسلمين من سموم التبشير كان المستعمرون يدسّونها في التعليم المدني مع شدّ الخناق وفرض الحصار على التعليم العربي الإسلامي خصوصا عند ما فتحت أقسام العربية والإسلام على سبيل الاستشراق والرصد على التاريخ الإسلامي وقتل اللغة العربية بالتدرج؛ ومن هنا تعاون الشيخ آدم عبد الله الإلوري مع جمعية أنصار الدين بلاجوس التي تعني بالتعليم الإسلامي ولكن حدة شوكة التعليم الانكليزي فيها أقوى من التعليم العربي ولم تمكّنها على التوسّع في المنهج العربي ولازم الإلوري هذه الجمعية طوال أربع سنوات بدون جدوى وإشباع لرغبته فعزلها وهو يتحسّس الحلّ بنفسه كما يكشف لنا ذلك بقوله: "وأخيرا جمع الله بيني وبينهم في أول عودتي من مصر عام ١٩٤٧م فتشاورنا واتّفقنا على إنشاء مدرسة مسائيّة لتعليم العربية بحتة دون مزجها بالإنكليزية، وتواعدوا على إجبار أولاد الجماعة لحضورها كل يوم فلازمتهم لذات أربع سنوات. ولكن عدم بناء خاص للمدرسة وفتور همّة الأبناء والآباء معا قوّضت العزائم وأعملت المعاول

على المدرسة فخرت على نفسها من القواعد، ثم عرضت عليهم فتح مركز خاص للتعليم العربي فأرسلت الجمعية إلى الحكومة. فما كان جواب الحكومة إلا أن قالت إنما لا تعنيها العربية وإنما تعني المسلمين، فلهم أن يجدوا طريقا إليها بأنفسهم، وكانت جماعة أنصار الدين تعتمد على الحكومة الانكليزية لإمدادها كل ما تحتاج إليها في شئون التربية والتعليم، فصارت عزائمها فاترة وهمتها ناعسة ونيتها واهية" (الإلوري، ١٩٩٠م).

فحمل هذه المسؤولية على غاربه الخاص كما يشير إليه ما نصّه "... فرجعت إلى نفسي وعزمت على إنشاء هذا المركز في أبيكوتا مستعينا ببعض تلاميذي وأصدقائي من جماعة أنصار الدين فرع أبيكوتا، فمكثنا هناك ثلاث سنوات بين زعزع ورخاء إلى أن تم انتقالنا إلى أغيجي ضاحية من ضواحي لاغوس وهناك مكّن الله للمركز حتى تم استقلال نيجيريا من نير الاستعمار السياسي وفتحت السفارات العربية والإسلامية. (الإلوري، ١٩٩١م)

فتهيأت له أرض أغيجي الخصبة لإعداد النشء الجديد وإشباع مداركهم العلمية ونشر العلوم العربية والثقافة الإسلامية إلى أن أرسل أولى بعثات المركز - بإعطاء المنح الدراسية - إلى البلدان العربية في أعقاب الستينيات لإكمال دراساتهم في جامعاتها مثل مصر العربية وليبيا والمغرب والسعودية وعمل - بإشارته - عبد اللطيف جاكندني Jakande بولاية لاغوس بفتح الباب لحاملي الشهادة

الإعدادية العربية للعمل في المدارس الابتدائية الحكومية جنبا بجنب مع حاملي
الشهادات الثانوية العامة الانجليزية عام ١٩٧٩ م. (إدارة المركز، ٢٠١٣ م)

٣- دور الشيخ الإلوري في تحسين معيشة علماء المدارس العربية

لم ينصب الإلوري همته في تحويل المنهج التعليمي فحسب بل اهتم إلى بعض
الطرق التي قد تتحسن بها أحوال معيشة العلماء وليأكلوا من أعمال أيديهم
فيكونون منشغلين بأعمال التربية والتعليم التي هي حرفة-بعينها-ولا تقل شأنًا
من غيرها من المهن والصناعات في معاناتها ومشقاتها، بل هي أكبرها وأشدّها
كما في قول الشاعر محمود غنيم:-

حَنَانِيكَ إِنِّي قَدْ بُلِيتُ بِفِتْنَةٍ	***	أَرْوَحُ وَأَغْدُو كُلَّ يَوْمٍ إِلَيْهِمْ
صِغَارُ ثَرْبِهِمْ بِمِثْلِ عُقُولِهِمْ	***	وَتَبْنِيهِمْ لَكِنَّا نَتَّهَدُمُ
فُصُولُ بَدَائِنَاهَا وَسَوْفَ نُعِيدُهَا	***	دَوَالِيكَ وَاللَّحْنُ الْمُكَرَّرُ يَسْأَمُ
فَمَنْ كَانَ يَرْتِي قَلْبُهُ لِمُعَذِّبٍ	***	فَأَجْدُرُ شَخْصٍ بِالرَّثَاءِ الْمُعَلَّمُ
عَلَى كَتِفِهِ يَبْلُغُ الْمَجْدُ غَيْرُهُ	***	فَمَا هُوَ إِلَّا لِلتَّسْلُقِ سَلَمٌ

(الإلوري، ١٩٨٠ م)

فتندرج القنوات التي شقّها الإلوري وتجري منها الأموال إلى جيوب علماء المدارس
العربية في نقاط تالية:-

(أ) جعل المكافأة للمدرّس في المدارس العربية
ولقد أسلفنا الحديث عن وضع العمل بالتعليم العربي في قديم الزمان حيث كان
العلماء يباشرون هذه الأعمال بدون أي مكافأة ولا مقابل شهريّ يتقاضون منها
بل كان أكبر اعتمادهم على حرفهم وصناعاتهم المتنوعة؛ ولعلّ لتحسين هذا
الوضع المأسوف عليه تسرّب إلى ذهن الإلوري في جعل مكافأة شهرية للمدرّسين
الذين يعملون معه في حقل التعليم والتدريس من أول يوم بدأ فيه هذا العمل
بأن يكونوا حيث قدّم الطلب إلى جمعية أنصار الدين بتمويل عمله التعليمي فقامت
هذه الجمعية تجاه هذا الطلب بالتمويل طوال سنتين فعجزت! وحمل بعد ذلك
هذه المسؤولية على عاتقه بجعل المكافأة للعاملين معه 'الإلوري' (١٩٨٥م) آنذاك في
مركزه ولم يكن له مورد سوى ما استرجع به من ابتياع بعض كتبه المؤلفة
وتسويقها، واستمرت الحالة إلى أن اعتزل عنه الاثنان وبقي - هو وحده - يباشر
هذا العمل مع معاونه بعض تلاميذه (الإلوري، ١٩٨٥م) إلى أن قام المركز على
قدم وساقٍ ففرض على طلابه دفع الرسوم الدراسية - سنويًا - والتي تتزايد ولم
تتجاوز قبل وفاته أربع مئة وخمسين نيرا (١٩٩١م) (٤٥٠) إلى أن كان المبلغ
الرسومي الحالي في المركز لم يتجاوز ثلاثة آلاف نيرا (٣٠٠٠) بغضّ النظر عن
القصور الحاصل من بعض التلاميذ (الإلوري، ٢٠١٥م)؛ فترسم هذه الخطى كثير
من مديري المدارس العربية في إمارة إلورن لتحسين ظروفهم وظروف العاملين
معهم من المدرّسين والعَمّال الآخرين بحيث يدفع طلابهم رسوما وإن لم تكن

مقدار ما يدفعونه في المدارس الأخرى غير العربية وعلى وجه التمثيل يدفع ألفان وخمسمئة نيرا (٢٥٠٠) في دار العلوم لجهة العلماء والأئمة بالورن، ويدفع ألفان نيرا (٢٠٠٠) في مركز التعليم العربي الإسلامي بأوڤي أغوڤي، إلورن.

(ب) إقامة حفلة تخريج للطلبة

إن ظاهرة إقامة حفلة التخرج للطلبة المتخرجين لم يكن عهد بها في قديم الزمان في تاريخ التعليم العربي في مدينة إلورن حيث لم تحدّد الفصول الدراسية والسنوات التي يقتضيها الطالب في كل المراحل التعليمية، وإنما كان يتعلّم التلميذ من أستاذه ويقرأ عليه بعض الكتب وبعد إنجائه لهذه القراءة قد يقدم له تبرّكا حسب وسعه واستطاعته وإن لم يكن له بدّ في ذلك فليس عليه من حرج بل يكتفي الشيخ بشرف الأخذ عنه بعض الكتب، ولكن أصبح مما يعدّ من الإيجابيات التي أدخلها الإلوري في سلك التعليم والتدريس - نتيجة توسيع أفق ثقافته - بزياراته للبلدان العربية أنه خطّط بعد رجوعه للتعليم العربي وعدل منهج التعليم العربي بين المحافظة على القديم وإدخال الجديد؛ وذلك بوضع الجداول الدراسية لكل فصل دراسي، وتحديد سنوات معيّنة لكل مرحلة تعليمية من ابتدائية وإعدادية وتوجيهية، وحافظ في البداية على مقرّرات الأزهر القديمة التي كان يستوردها من مكاتب مصر، ثم أنشأ المركز مطبعة صغيرة لطبع منشورات مدرسية وبعض كتب أخرى (الإلوري، ١٩٩١م) فعُدل عن استعمال مقرّرات الأزهر بإعداد المقرّرات

من قبل نفسه لكل فصل دراسي لتناسب مدارك الطلبة وأذواقهم مع توفير
رصائدهم العلميّة وتوسيع آفاق ثقافتهم فمن بين هذه المقرّرات: قواعد الصلاة،
المقطوعات الأدبية، الفواكه الساقطة، خلاصة السيرة، متن الورقات، زبدة المؤطا،
عيون لاميات العرب والعجم، تعريف الشعر العربي، نظام التعليم العربي في العالم
الإسلامي، الميراث، أناشد المركز، التاريخ الإسلامي ٢/١، تقريب النحو، تصريف
المبتدي، لباب الأدب بأقسامه الثلاثة، الجغرافيا والتاريخ، الفلك والنجوم، فلسفة
التوحيد، الدين النصيحة، البلاغة العربية، دروس الثقافة، الإسلام في نيجيريا،
تاريخ الدعوة والدعاة وغيرها.

وإذا اجتاز الطّالّاب الامتحان في مرحلة ابتدائية -بفتراتها الثلاث- فنجحوا فيها
ينتقلون إلى مرحلة بعدها وهي الإعدادية ويقضون فيها مع امتحاناتها أربع
سنوات، فإذا أسفرت عن نجاح يقام لهم حفلة التخرج وتوزّع لهم الشهادة
الإعداديّة في محفل هائل يحضرها أهالي الطّالّاب وأحبائهم وأصدقائهم ويدعو لهم
الشيخ بالبركة في صحبة أحبائه ومعارفه من العلماء الأجلاء ثم يوزّع عليهم
الشيخ ما جمع من التبرعات والتبركات، ثم يواصل من يرغب منهم المرحلة
التوجيهيّة التي تستغرق الدراسة فيها ثلاث سنوات مع اجتياز الامتحان على رأس
كلّ سنة فإذا نجح في الامتحان النهائي يقام له الحفلة ويحصل على الشهادة
التوجيهية التي يؤهّله لمواصلة الدراسات الجامعيّة في داخل البلاد وخارجها من
البلدان العربيّة. التي تعادل شهادة المركز.

(ج) الاحتفال ببعض المواسم الإسلامية

ومما شرف الله به الإسلام على غيره من الأديان أن كانت له الأحداث والوقائع التي تستعاد ذكرها على مدى الأعوام والدهور مثل مولد الرسول صلى الله عليه وسلم وهجرته، وليلة الإسراء والمعراج، وليلة القدر في شهر رمضان وتوديعه، وهذه المواسم الإسلامية كان بعض المسلمين -ولا يزالون- يحيون أيامها ويحتفلون بها غير أن أشكال الاحتفال بها قد تباين، وتختلف باختلاف البلدان والأمصار. وقد لعب الإلوري دورًا ملموسًا في إحياء بعض المواسم الإسلامية في جنوب نيجيريا والتي عادت بعد مغنمًا يعلل علماء المدارس العربية عيشهم ويتقوى به ساعدهم على تحصيل الأقوات والأرزاق. فدور الإلوري في هذه المواسم كما يلي:

(*) الاحتفال بالمولد النبوي

لم يكن الاحتفال بالمولد النبوي في مدينة إلورن حديث العهد حيث كان بعض زوايا الطرق الصوفية مثل زاوية الشيخ أحمد الرفاعي إندى الصلاقي وزاوية أوئي ورْد في بكنا حيث يجتمع فيها أفراد الزاوية وأعضاؤها وأحبائها ومعارفها في يوم من ربيع الأول ويحتفلون بمولد النور وهدى البشرية جمعاء ورحمة العالمين سيّدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وكانوا يكثرّون الأذكار والصلاة على النبي بنغمات مطربة

وضرب الدفوف (البنادير) ويهتفون الأطعمة والأشربة التي يحفون بها ضيوفهم

ويتأكلونها في سرور وفرح وحبور (بودوفو، ٢٠١٦م)

ثم أخذ الاحتفال بالمولد النبوي في إمارة إلورن شكلا آخر من عهد الأمير التاسع سمو الأمير ذي القرنين بن محمد عقب سفره إلى إحدى المدن الشماليّة وشهد بها الاحتفال بالمولد النبوي ببلاط أميرها وحضرها أعيان البلد وغيرهم من المواطنين؛ ومن هنا كان الأمير يكنّ في صدره أنه سيقم مثل هذا الاحتفال في إمارة إلورن (بودوفو، ٢٠١٦م) فاستقدم الشيخ الإلوري في شهر ربيع الأول في عام ١٩٦٩م للمشاركة في هذا الاحتفال بإلقاء الوعظ والإرشاد الذي تضمّن الوعي الإسلامي ومدارسة حياة الرسول وسجاياه (الإلوري، ١٩٧٩م) فصار بلاط الأمير إلورن يحتفل بهذا المولد إلى بعض الأعوام حيث انقطع لظروف لا تسمح الحال بذكرها في هذه العجالة.

فمنذ هذه الآونة يقام الاحتفال بالمولد النبوي في مختلف الزوايا الصوفيّة والمدارس العربيّة والجمعيات الإسلاميّة في إمارة إلورن ويدعى إليه عامّ من العلماء يلقي فيه محاضراته ويحرّك -هو وشيعته- الحضور بالأشعار الإسلاميّة والأغاني المطربة فيغدون عليه العطايا المالية.

(*) الاحتفال بالهجرة النبويّة

لم يكن الاحتفال بيوم هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلّم ضمن الاحتفالات الموسمية الإسلامية في إمارة إلورن -على وجه التحديد- قبل سنة ألف وتسع مئة

وثمانين (١٩٨٠م) الذي وافق بداية القرن الجديد ونهاية القرن الغابر (١٤٠٠) الهجري؛ والذي اهتم فيه الإلوري بإبداء رأيه للرؤساء المسلمين وأمرائهم وسلاطينهم وعلمائهم في الديار النيجيرية أن يستقبلوه كالعام الهجري الجديد والذي يتمثل مطلعا آخر للقرن الهجري الجديد.

فكشف الإلوري عن ساعد الجدّ على كيف يعطى هذا الاستقبال ما يليق به من الإجلال والتكريم فقدّم المشورة إلى رئيس نيجيريا آنذاك (الحاج شيخ عثمان شَاغَرِي Sagari) بدعوة رسميّة لشيخ الأزهر-آنذاك- جاد الحق علي جاد الحق ليكون ضيف الشرف لهذه الجمهوريّة في استقبالها للقرن الهجري الجديد، فوُفق رأي الإلوري في ذلك واعتزموا بهذا الاستقبال بوضع خطط فعاليّاته وبرامجه واحتفاء ضيوفه فأسفر بنجاح باهر؛ حيث استقبل هذا القرن الجديد بحفاوة بالغة وأنشطة قويّة وحيويّة جيّاشة لا ينساها تاريخ الإسلام وحركة المسلمين في هذه البلاد النيجيرية حيث طاف شيخ الأزهر بعض مدنها وأماكنها الحسّاسة مثل مدينة كنو، وسوكوتو، وإبادن ثم لاجوس حيث تشكّلت الجلسة للاحتفال حسب البرامج المحدّدة له من قبل المركز، وترك هذا الاستقبال في نفوس المسلمين آثارا إيجابية تنبئ عن الاعتزاز بدينهم والكشف عن هويّتهم الإسلاميّة.

ويتمثّل هذا الاستقبال في أول نوعه في الاحتفال بهجرة الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) في إمارة إلورن وغيرها من المدن النيجيريّة، فظلّ المسلمون يحتفلون بها في كلّ مطلع شهر محرمّ بحضور جمّ غفير في (إستاد) ولاية كوارا بمدينة إلورنغ

حضور سمو الأمير وحاشيته ووزرائه وأعيان المدينة ووجهائها مع علمائها وكل المدارس الحكومية ومدارس الأفراد الإسلامية يمرّ طلابها -واحدة تلو أخرى- أمام الأمير والحاكم بأناشيد إسلاميّة وحركات جذّابة مفرحة ثم يلقي العلماء محاضرتهم ويوجّه سمو الأمير كلامه الوجيه للحضور. ثم أخذ يحتفل بها -بصفة خاصة- بعض المدارس العربيّة والمنظّمات الإسلاميّة بدعوة عالم حسب الميول والرغبات فيفعم وعاءه بالهدايا والتبرّكات.

(*) إحياء ليلة القدر والاحتفال بها

تتمثّل ليلة القدر سيّدة الليالي بأسرها لكونها ليلة أنزل فيها القرآن الكريم كما في النصّ الحكيم "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ. فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" (الدخان: ٣-٦) وكانت هذه الليلة في العشر الأخير من شهر رمضان ويرغب المسلمون بإحيائها لتتحيّن لهم الفرصة لاغتنام فضائلها وتحصيل نفحاتها والتبرّك بتجليّاتها؛ ولهذا كان المسلمون ولا يزالون يجعلون أكبر همّهم وأشدّ عنايتهم في إحياء هذه الليلة على أشكال متباينة مع تباين المدن والبيئات، ففي مدينة إلورن كانت مجالس تفسير رمضان والمساجد الراتبّة تحييها في يوم من أيام الوتر في العشر الأخير من رمضان، وكانت تخصّص وقتاً خاصاً للدعاء بعد التفسير وبعد صلاة العشاء متضرّعين إلى الله أن ينظرهم بعين رحمته ببركة هذه الليلة المباركة.

وأضاف الإلوري شكلاً آخر في إحيائها بحيث كان يحييها في ليلة اليوم السابع والعشرين ويشهدها الجَمّ الغفير من الأقباسي والأداني، يفتح جلستها بدعاء الافتتاح وبيان فضائلها وفضائل القرآن الكريم من بعض طلبة المركز ثمّ يزيد على ما قالوا من فضائل هذه الليلة وعظمتها وجلالتها وبركاتها ثمّ يعقب ذلك بالأدعية الماثورة والابتهالات والأذكار التي تسكب لها العيون وترتجف للإستماع إليها النفوس، ثمّ يقدّم الحضور بعد الانتهاء منها الصدقات كما يقدّم الأثرياء زكواتهم السنوية التي تعدّ نوعاً من موارد المركز كما أشار إليه الإلوري نفسه عند البيان عن موارد المركز ويقول: "...أما الموارد فكان اعتمادنا الأكبر على اشتراكات آباء الطلاب وتبرّعات المحسنين ثمّ الزكوات السنوية أما المساعدات فقد أتت من السعودية والأردن والكويت ما يشكرون عليه في الستينيات ولما كثر المتطّفلون تركنا لهم ذلك المجال واعتمدنا على الله ثمّ على ما يسوقه الله إلينا من غير سؤال ولا إشراف نفس ولا حرص ولا طمع فالقناعة كنز لا يفنى..." ثمّ يدعو الله للمتصدّقين بالنماء في الرزق والبركة في الأهل والأولاد. (الإلوري، ١٩٩١م)

وقد توارث هذا الشكل - في إحياء ليلة القدر - بعض المدارس العربية والمنظّمات الإسلامية في مدينة إلورن وغيرها من المدن النيجيرية وتدرّ لها من خلالها الأموال التي تصرف في إنجاز مشروعاتها وتحسين أحوالها المعيشة.

• الخاتمة

قد استطعنا أن نكتشف عبر السطور المتقدمة ما قد قام به الشيخ آدم عبد الله الإلوريّ من الأدوار الفعّالة في تحسين ظروف معيشة علماء المدارس العربية في مدينة إلورن وغيرها من المدن النيجيرية التي كانت العلماء فيها يعانون - في قديم الزمان - ظروفًا قاسية تجاه مزاوله المعيشة ما جعلهم أن يحاولوا الحلّ في الحرف والصناعات الأخرى التي تعينهم على تحصيل الأوقات ومباشرة عمل التعليم العربي والتربية الإسلامية، ولم تصرف عنه همّتهم مع قسوة تلك الظروف، وإنما تتحسن هذه الأحوال بعد شقّ الإلوريّ لتلك القنوات فيُنعم عليهم قدر ما بخلاف الوضع في غابر الزمان.

• الاقتراحات

فبالنظر الحصيف إلى ما كانت عليه ظروف معيشة علماء المدارس العربية وما عادت إليه من التحسين؛ ومع ذلك لا يتمتّعون مثل تمتّع غيرهم من المدرّسين الذين يعملون في حقل التربية والتعليم في معازل حكوميّة؛ ولعلّ العلة في ذلك ترجع إلى ما يلي من الاقتراحات:-

• إذا كان التعليم العربي في المدارس العربية لم يكن تحت مشارف الحكومة ولم تخصّص نصيباً قلّ أو كثر من ميزانياتها السنوية التي بها ترفع شؤون هذه المدارس وأحوال علمائها فعلى الأفراد المسلمين الذين عرفوا قيمتها

وقادوا إليها أبناءهم للتعليم أن يعدلوا في توازنهم بين المدارس العربية والمدارس الانكليزية التي يدفعون لها لتعليم أبنائهم مبالغاً باهظة لم يبلغ ما يدفعون للعربية معشارها.

● وعلى علماء المدارس العربية أن يأخذوا أعمالهم بكلّ الجدّة وأن يكونوا على علم أن التعليم العربي لا يقلّ شأنه عن غيره من التعاليم فلا ينظرون أنفسهم كأنهم يعيشون في العالم الثالث وهم يستحقّون كلّ استحقاقات غيرهم من الإجلال والتكريم ورفع الشئون.

● وعلى الحكومة أن تعيد نظرها في شئون هذه المدارس العربية وليس معنى ذلك أن تولّى شئون إدارتها من أصحابها ولكن أن تعمل معها بكلّ ما يثمر لها ويجديها كما تعمل ذلك بالمدارس الانكليزية الفردية دون الحكومية؛ لأن العربية لم تبق موقوفة على منفعة الدين فحسب - كما يظنّ البعض - بل تعدّتها وظلّت من احتياجات الحكومة في مجال التربية والتعليم العالي ووظائفها الرسميّة.

ثبت المراجع

الإلوري، آدم عبد الله، مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية ، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

• مقدم، عبد الرشيد محمود، دراسة موضوعية للمخطوطات العربية في إمارة إلورن، نيجيريا ؛ رسالة الدكتوراه في قسم اللغة العربية، جامعة إلورن، إلورن، نيجيريا، ٢٠١٣م

• الإلوري، آدم عبد الله، نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي ، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت-لبنان، ط/٣، ١٩٨١م.

• الإلوري، آدم عبد الله، الصراع بين العربية والانجليزية في نيجيريا، دار التوفيق النموذجية للطباعة، القاهرة، ١٩٩٠م.

• الإلوري، آدم عبد الله، لمحات البلور في مشاهير علماء إلورن (من ١٢٠٠ إلى ١٤٠٠ هـ الموافق ١٨٠٠ إلى ١٩٨٠م) مكتبة الآداب ومطبعها بالجماميز، القاهرة، ١٩٨٢م.

• الإلوري، آدم عبد الله، مناجات الشيخ آدم عبد الله الإلوري قالها ١٩٥٦م ونشرت ١٩٩٠م.

• الإلوري، آدم عبد الله، مركز التعليم العربي الإسلامي أجيبي-لاجوس-نيجيريا في أربعين عاما ١٣٧١-١٤١١ هـ.